في الكمال!

الكمال ليس من هذا العالم! ان إدراك هذه الحقيقة انتصار للذكاء البشري، وتوقّع بلوغ الكمال هو أخطر ضروب الجنون!

جوهر الإنسان هو المعطوبية. والكمال يبقى من نسج الخيال أو الأحلام، بل ان ما لا ينطوي على أخطاء، إن وجد، يكون بلا حياة، وان أفدح الأخطاء لدى بعضهم زعمهم ان ليس لديهم أخطاء.

يجعلنا «الكمال» نتخيّل مدى معطوبيتنا بدرجات. وإن بلغ إدراكنا مبلغ الإقرار بمحدوديتنا، تاخمنا ربما الكمال من غير أن ننتهي إليه أبدا. وهكذا ان التطور وليس الكمال هو قدر الإنسان في أحسن الأحوال.

ان شعرا كامل الأوصاف من المستحيلات. ولكن، هل الشعر حجر في متحف أو جزء من طقوس متحجرة جامدة؟ حسبه انه يتطور على الدوام فيدهش ويسحر وخصوصا عندما يأتي عفو الخاطر.

معظم ناسنا يقبلون على الشعر وما إليه ابتغاء للذة. ولكننا نعتقد انه ينبغي دمجه من البدء في نظام التربية، لان الطبيعة لا تسعى الى عمل قويم وحسب، بل تلتمس أيضا إمكان التمتع بأوقات فراغ وربما أكثر. هذا لا يلغي ذلك. والطبيعة مبدأ كل شيء، ومن يخل بها يخل بنظام فاطرها، ما يُعد تعدّيا باهظا.

الفنون الجميلة ترقى الى سماء الجمال وتلين خشونة الحياة. واهمالها يهدّد المثل العليا، فتمضي النفوس - وإن تقدّم أصحابها علميا وتقنيا - تتكالب على تفاهات الوجود بعيدا عن التطلع الى الكمالات. والشعر رأس هذه الفنون وخلاصة الإنسان. انه أقرب الى الإنسانية المثالية العاقلة من سائر الفنون وبأولى حجة من مختلف الحرف والمهن. انه الأقرب الى الكمال بفضل عمقه الإدراكي وجدّته الابتكارية وإيحائياته والصدق والفصاحة والبلاغة. فطوبى لشعر الوجدان الصافي والرقة ورهافة الذوق والسلاسة والموسيقى الحالمة التي تنطوي على أجمل ما في النفس من عاطفة وأرق ما في القلب من نبض.

د. جهاد نعمان، بوسطن

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه